حـــوار

بقلم : أحمد طلعت

هذا هو الفساد..!!

يتحدث الناس كثيراً هذه الأيام عن الفساد، والحكومة تنفى، أو هى تقول على(استحياء) أن الفساد موجود فى كل بلاد العالم، وأنها لا تقصر في ملاحقة الفساد ولا تتستر عليه.

ولكى نصل إلى نهـاية (منطقـيـة) فى هذا الحـوار بين الشـعب والحكومة يجب علينا أولاً أن نحدد معنى الفساد حتى نصل إلى نتيجة تقنع الناس (وترضى) الحكومة..!!

الفساد هو دولة يتورط بعض كبار المسئولين فيها فى قضايا الرشوة واستغلال النفوذ، فتزيد ثرواتهم بطرق غير مشروعة، ومع ذلك يبقون فى مناصبهم لا يحاكمون ولا يعزلون بالرغم مما يحيط بسمعتزم من شبهات مع أن سمعة الموظف العام هى أهم ما يجب أن يحرص عليه ويبتعد به عن مواطن الشبهات.

فشراء شاليهات الساحل الشمالى ثم بيعها والتربح منها يمس سمعة الموظف العام، حتى وأن لم يكن يقع تحت طائلة القانون، وتقاضى بدلات السفر عن المأموريات فى الخارج بالرغم من أن الرجل العام يكون فى ضيافة الدولة الأجنبية التى يزورها يمس سمعته حتى وأن لم يكن ذلك يقع تحت طائلة القانون لأنه أمر يتناقض مع النزاهة والشرف بغير حاجة إلى تشريع أو قانون.

وقبول الهدايا غالية الثمن من جهات أجنبية، والأسراف فى إقامة الاحتفالات ونشر التهانى والتعازى فى الصحف . تظاهرا أو نفاقاً . يمس سمعة الرجل العام حتى وأن كانت مخالفات لا يحكمها عندنا قانون. وتلك هى مجرد أمثلة نؤكد بها على أن (أقل) إنحراف فى الموظف العام يمثل فساداً تجب محاربته لأن المفروض فى الموظف العام أن يكون قدوة ومثلاً صالحاً.

والفساد هو دولة تصدر فيها القوانين بارادة الحاكم وبناء على (توجيهاته) فيتحول البرلمان إلى أداة فى يد الحاكم، ويتحول أعضاؤه إلى طلاب مصالح، لا يعبرون عن مصالح الشعب فى مجموعه وإنما يسعون إلى تحقيق مصالحهم الخاصة تحت شعار خدمة الجماهير. فلا رقابة من السلطة التشريعية على السلطة التنفيذية، وإنما (تبعية) للحكومة من أجل تحقيق المصالح الشخصية، وتصفيق للحاكم من أجل الحصول على رضاهم (وتوقيعاتهم) على العرائض والمطالب.

ونتيجة لأن البرلمان يصبح مطية للحكومات تصدر القوانين وكلها ثغرات وخروق ينفذ منها أصحاب (الشطارة) أو يتحايلون بها على القانون.

والفساد هو دولة يقلد فيها المسئول الصغير من هم أكبر منه فى الإنحراف بالسلطة وتحقيق الثروات من ورائها، فيقلده وهو مطمئن إلى أن أحدا لن يحاسبه أو يراقبه مادام الكبير يسلك نفس الطريق ويبيح لنفسه استغلال السلطة من أجل الثراء.

والفساد هو دولة يتقاضى فيها موظف الحكومة والقطاع العام مرتبات لا تكاد تكفى مصروفات المأكل والملبس فيفتحون إدراج مكاتبهم للرشاوى (والعطايا) من أصحاب الحاجات وأصحاب الحقوق وهم يعتبرون انهم ينتقمون من الدولة ومن قوانينها التى جعلتهم على حافة الفقر تحت شعارات العدالة والمساواة.

والفساد هو دولة عاجزة عن ملاحقة الجريمة قبل وقوعها فتملأ الأسواق سلعا فاسدة، وتملأ الأحياء عمارات مخالفة، وتملأ الجيوب أموالا حراما.

والفساد هو دولة تزيف التاريخ وتزيف مناهج الدراسة فتجعل الوطنية وقفاً على الحكام، وتتهم من سبقوهم بالخيانة والعمالة، فيفقد الشباب المثل الأعلى فلا هو يثق فيما مضى، ولا هو سعيد بما يراه أمامه، ولا هو يتطلع إلى أمل فى مستقبل أفضل.

والفساد هو دولة تكبت حرية الراى والأجتهاد، وتتهم كل من يعارضها بالخيانة، وتعطى الوظائف والمناصب لأعوانها وحدهم فيتسابق الناس فى طوابير النفاق لعلهم يظفرون ببعض (عطايا) السلطان.

والفساد هو دولة تشترى الذمم وتشترى الكتاب، ليسبحوا بحمدها بالليل وبالنهار، وهى تضعهم فى مناصبهم، وهى تعزلهم من هذه المناصب دون أن يعلم الشعب سببا لهذا أو ذاك.

والفساد هو دولة يتمسك حكامها بمقاعدهم ولا يسمحون لأحد بأن يقترب منها، وكأنهم ورثوها عن إجدادهم، مثل ملوك العصور الوسطى الذين كانوا يزعمون أنهم يمارسون السلطة بالحق الألهى أو بحق الدم الأزرق الذى يجرى فى عروقهم..!!

والفساد هو دولة حق المواطنين فيها ضائع، والعدالة بطيئة، وأجهزة الأمن فيها لا تهتم بالمواطن العادى وإنما تنشغل فقط بأمن الحاكم وسلامته.

والفساد هو دولة تتصور أن الشعوب لا تحكم إلا بالقبضة الحديدية فتمارس أقصى درجات القمع دون حساب لردود الفعل وللغضب المكبوت.

والفساد هو دولة تتزايد فيها طوابير العاطلين بينما تمتد فيها خدمة المحاسيب والاتباع إلى ما بعد سن المعاش على إنقاض اللوائح والقوانين.

والفساد هو دولة لا تجد فيها أغلبية الشعب سريراً فى مستشفى، أو زجاجة من دواء، بينما المحاسيب والاتباع يعالجون فى أكبر واحدث المستشفيات فى الخارج على نفقة الدولة.

والفساد هو دولة أصبح فيها الإستثناء قاعدة، والقاعدة إستثناء، مادامت القوانين لم تعد قواعد عامة مجردة، وإنما أصبحت وسيلة فى يد الحكام لمكافأة المحاسيب والاتباع.

والفساد هو دولة يتعود الشعب فيها على الفساد فيتعلم الناس (الفهلوة أو يموتون من الحسرة..!!

هامش: الأسماك الكبيرة تاكل الأسماك الصغيرة فى البحار العميقة..!!